بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧ — سورة الصافات

سميت بها لاشتمال الآية التى هى فيها على صفات للملائكة تنفى إلٰهية الملائكة من الجهات الموهمة لها فيهم . فينتفى بذلك إلٰهية ما دونهم ، فيدل على توحيد الله ، وهو من أعظم مقاصد القرآن . قاله المهايمىّ .

وهى مكية اتفاقا ، وآيها مائة واثنتان وثمانون . روى النسائىّ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ، ويؤمّنا بالصافات .

قال ابن كثير : تفرّد به النسائىّ .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا)

[٢] (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا)

[٣] (فَٱلتَّـٰلِيَٰتِ ذِكْرًا)

[٤] (إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ)

« وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا * فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا * فَٱلتَّـٰلِيَٰتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ »

افتتح تعالى هذه السورة بالقسم ببعض مخلوقاته ، إظهاراً لعظم شأنها وكبر فوائدها . وتنبيها إلى الاعتبار بصفتها وما تستدعيه من سِمَتها . و (الصافات) جمع صافة ، أى طائفة صافة ، أو جماعة صافة . فيكون فى المعنى جمع الجمع . أو على تأنيث مفرده باعتبار أنه ذات ونفس ، والمراد بالصافات الملائكة . لقيامها مصطفة فى مقام العبودية لمالك الملك . من قوله تعالى[1] (وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ) أو لصفها أجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لأمر الله تعالى . و (الزاجرات) أى : الناس عن المعاصى ، بإلهام الخير . من (الزجر) بمعنى المنع والنهى . أو الزاجرات الأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به . من (الزجر) بمعنى السوق والحث . و (التاليات) أى : آياته تعالى على أنبيائه عليهم السلام ، وقيل : الصافات الطير . من قوله تعالى[2] (وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ) و(الزاجرات) ، كل مازجر عن معاصى الله . و(التاليات) كل من تلا كتاب الله . أوهم العلماء الصافون فى العبادات أقدامهم ، الزاجرون عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح ، التالون آيات الله وشرائعه . أوهم الغزاة الصافون فى الجهاد ، والزاجرون الخيل أو العدوّ ، التالون لذكر الله ، لايشغلهم فيها عنه مبارزة العدوّ . وقد ذكر

(١) [٣٧ / الصافات / ١٦٥] . (٢) [٢٤ / النور / ٤١] .

غير هذا ، مما يشمله اللفظ ولا يأباه . وبالجملة ، فالعطف إما لاختلاف الذوات أو الصفات . وإيثارُ الفاء على (الواو) لقصد الترتيب والتفاضل طرداً أو عكسا . أما الأول فاعتناء بالأهم فالأهم . وأما الثانى فالترقى إلى الأعلى . و (صفا) و (زجرا) مصدر مؤكد . وكذا (ذكرا) ويجوز فيه كونه مفعولاً به . قال الناصر : وفى هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل فى مثل[1] (وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) فإنهما يقولان: الواو الثانية ومابعدها عواطف . وغيرهما يذهب إلى أنها حروف قسم . فوقوع الفاء فى هـذه الآية موقع الواو . والمعنى واحد . إلا أن ماتزيده الفاء من ترتيبها، دليل واضح على أن الواو الواقعة فى مثل هذا السياق ، للعطف لاللقسم . انتهى .

وقوله تعالى (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ) جواب للقسم . وفى تأكيد المقسم عليه بتقديم الإقسام وتوكيد الجملة ، اهتمام به بتحقيق الحق فيه الذى هو التوحيد ، وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به، وهو قوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ)

« رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ » فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع ، من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته، وأعدل شواهد وحدته. أى مالك السموات والأرض ومابينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها إلى كمالاتها. والمراد بالمشارق مشارق الشمس . وإعادة ذكر الرب فيها ، لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم. فإنها ثلاثمائة وستون مشرقا. تشرق كل يوم من مشرق منها. وبحسبها تختلف المغارب، وتغرب كل يوم فى مغرب منها . وأما قوله تعالى (رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ) فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباها . أفاده أبو السعود .

---

(١) [٩٢ / الليل / ١و٢] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ)

« إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا » أى الجهة العليا القربى من كرة الأرض « بِزِينَةٍ » أى عجيبة بديعة « ٱلْكَوَاكِبِ » بالجر، بدل من (زينة) . وقرئ بالإضافة، على أنها بيانية، أو على معنى مازينت هى به، وهو ضوؤها . والمراد التزيين فى رأى العين . فإن الكواكب تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[٧] (وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ)

« وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ » أى خارج عن الطاعة، بقذفه بشهبها، كما يتطاول إلى استراق السمع من جهتها و (حفظاً) إما منصوب بإضمار فعله . أى حفظناها حفظاً . أو بعطفه على (زينة) من حيث المعنى . أى خلقنا الكواكب للسماء زينة وحفظاً . أو على المفعول لأجله بزيادة الواو . والعامل فيه (زيَّنَّا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨] (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ)

« لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ » قرئ بالتخفيف والتشديد. وأصله (يتسمعون) أى يتطلبون السماع . والضمير لكل شيطان . لأنه فى معنى الشياطين ، والجملة مستأنفة لبيان ما عليه حال المسترقة للسمع من أنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة الخ. أو هى علة للحفظ . أى لئلا يسمعوا . فحذفت اللام ثم (أَنْ) وأهدر عملها . وضعفوه بلزوم اجتماع حذفين، وهو منكر. كما ذكروه فى قوله تعالى[1] (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ) أى لئلا

(١) [٤ / النساء / ١٧٦] .

تضلوا ، وقد يقال : إنما ينكر حذف شيئين فيما يخلّ بانسجام الكلام . أما فى تقدير أمرٍ له نظائر ، ومرجعه إلى تحليل معنى ، لا يأباه اللفظ ـ فلا وجه للتعصب فى رده ، لمجرد أن الكوفيين ، مثلًا ، ذهبوا إليه أو غيرهم . وشاهد المعنى أعدل من حكم القواعد وتحكيمها « وَيُقْذَفُونَ » أى يرمون « مِن كُلِّ جَانِبٍ » أى من جميع جوانب السماء ، إذا قصدوا الصعود إليها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] (دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ)

« دُحُورًا » أى للدحور وهو الطرد « وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ » أى شديد غير منقطع .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[١٠] (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ)

« إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ » أى اختلس الكلمة « فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ » أى لحقه شعلة نارية تنقضّ من السماء « ثَاقِبٌ » أى مضيء . كأنه يثقب الجوّ بضوئه .

تنبيه :

ذكر المفسرون أن الشياطين كانوا يصعدون إلى قرب السماء . فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب ، وكانوا يخبرونهم به ويوهمونهم أنهم يعلمون الغيب . فمنعهم الله تعالى من الصعود إلى قرب السماء بهذه الشهب . فإنه تعالى يرميهم بها فيحرقهم .

قال ابن كثير : يعنى إذا أراد الشيطان أن يسترق السمع ، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه . ولهذا قال جل جلاله (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى) أى: لئلا يصلوا إلى الملإ الأعلى، وهى السموات ومن فيها من الملائكة ، إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى بما يقوله من شرعه وقدره.

كما وردت الأخبار بذلك فى تفسير قوله تعالى[١] (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ، وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ) انتهى .

قال بعض علماء الفلك : كما أن العرش تحفّه الأرواح الغيبية ـ حسبما تقدم بيانه فى آية[٢] (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) فى الأعراف ـ فكذلك الكواكب الأخرى مسكونة مع الحيوانات والدواب بأرواح، منها الصالح (الملك) ومنها الطالح (الشيطان) وكذلك أرضنا هذه. ففيها من الملائكة ومن الشياطين مالا نبصره[٣] (إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) ولا يخفى أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود. فعدم إدراكنا لهذه الأرواح لا يدل على عدم وجودها . كما أن عدم معرفة القدماء للميكروبات وللكهرباء التى تشاهد الآن آثارها العظيمة ، لم يكن يدل على عدم وجودها إذ ذاك فى العالم . فمن الجهل الفاضح إنكار الشيء لعدم معرفته أو العثور عليه. على أن لنا الآن من مسألة استحضار الأرواح أكبر دليل على وجود أرواح فى هذه الأرض، لا نبصرها ولا نشعر بها. وقد قدّر الله تعالى أن الحيوانات فى هذه الأرض ، إذا خرجت عنها إلى حيث ينقطع الهواء ويبطل التنفس ، تموت فى الحال. وكذلك قدر أن الأرواح الطالحة التى فى أرضنا هذه، إذا أرادت الصعود إلى السماء والاختلاط بالأرواح التى فى الكواكب الأخرى، انقضّ عليها، قبل أن تخرج من جوّ الأرض، شهاب من هذه الكواكب أو من غيرها ، فأحرقها وأهلكها ، بإفساد تركيبها ومادّتها . حتى لا يحصل اتصال بين هذه وتلك ، ولا تطلع على أسرار العوالم الأخرى . وهذه الشهب التى تنقضّ ، إن كانت صادرة من أجرام ملتهبة ، كانت ملتهبة . وإن كانت صادرة من أجرام غير ملتهبة ، التهبت فيما بعد لشدة سرعتها واحتكاكها بالغازات التى تمر فيها فى جوّنا هذا . ولعل فى مادة الشياطين ما يجتذب إليه هذه الشهب ويتّحدُ بها. كما تجتذب العناصر الكيماوية

(١) [٣٤ / سبأ / ٢٣] . (٢) [٧ / الأعراف / ٥٤] .
(٣) [٧ / الأعراف / ٢٧] .

بعضها بعضا (مثال ذلك عنصر الصوديم فإنه يجتذب إليه الأكسجين من الماء فيحلله) ولا نقول إن جميع الشهب تنقضّ لهذا السبب، بل منها ماينقضّ لأسباب أخرى . كاجتذاب بعض الأجرام السماوية له. ومنها ما ينقض لإهلاك الشياطين، كما بيّنا هنا. والشياطين مخلوقة من مواد غازية كانت ملتهبة[1] (وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ) والمراد (بالسماء الدنيا) فى هذه الآية الفضاء المحيط بنا القريب منا. أى هذا الجوّ الذى نشاهده وفيه العوالم كلها. أما ماوراءه من الجواء البعيدة عنا ، التى لايمكن أن نصل إليها بأعيننا ولا بمناظيرنا ، فهو فضاء محض لاشىء فيـــه . فلفظ (السماء) له معان كثيرة كلها ترجع إلى معنى السموّ . وتُفسَّرُ فى كل مقام بحسبه .

ثم قال : فكل مسألة جاء بها القرآن حق ، لايوجد فى العلم الطبيعىّ ما يكذبها . لأنه وحى الله حقا ، والحق لايناقضه الحق[2] (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) اهـ .

وقال أيضا : يعتقد الآن علمـــاء الفلك أن أكثر الشهب تنشأ من ذوات الأذناب . ويحتمل أن بعضها ناشىء من بعض الشموس المنحلّة ، أو الباقية الملتهبة ، أو من براكين بعض السيارات ، أو مما لم ينطفئ من السيارات للآن . ومتى علمنـــا أن ذوات الأذناب والسيارات جميعا مشتقة من الشموس ، كان مصدر جميع الشهب هو الشموس أو النجوم .

(قال) : وهذا يفهمنا معنى هذه الآية . اهـ كلامه .

ونظير هذه الآية قوله تعالى[3] (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ) وقوله عزوجل[4] (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ

(١) [١٥ / الحجر / ٢٧] . (٢) [٤١ / فصلت / ٥٣] .
(٣) [٦٧ / الملك / ٥] . (٤) [١٥ / الحجر / ١٦ـ١٨] .

فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ) وقوله سبحانه إخبارا عن الجن[١] (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا*وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[١١] (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ، إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)

« فَاسْتَفْتِهِمْ » أى فاستخبر مشركى مكة « أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا » أى أقوى خلقة وأمتن بنية « أَم مَّنْ خَلَقْنَآ » أى من السموات والأرض والجبال. كقوله تعالى[٢] (ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ) الآية وقوله[٣] (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ)وفى اضطرارهم إلى الجواب بصغر خلقهم وتضاؤله عما ذكر ، اعتراف بأنه لايتعالى عليه أمر بعد هذا . كشأن البعث وغيره . وإليه الإشارة بقوله تعالى « إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ » أى لزج ضعيف لاقوة فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢] (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ)

« بَلْ عَجِبْتَ » أى من إنكارهم للبعث بعد اضطرارهم للاعتراف بما يحققه « وَيَسْخَرُونَ » أى من تقرير أمر البعث والاحتجاج عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣] (وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ)

« وَإِذَا ذُكِّرُواْ » أى بما يؤيده ، أو وعظوا وخوفوا من المخالفة « لَا يَذْكُرُونَ » أى مايقتضيه ؟ لتعنتهم وعنادهم . أولايخافون ولا يتعظون .

---

(١) [٧٢ / الجن / ٨و٩] . (٢) [٧٩ / النازعات / ٢٧] . (٣) [٤٠ / غافر / ٥٧] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤] (وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ)

« وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً » أى برهاناً واحتجاجاً على مصداقه، من آيات الكائنات فى أنفسهم أو فى الآفاق « يَسْتَسْخِرُونَ » أى يبالغون فى السخرية، بدل الاعتبار والتدبر والتفكر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥] (وَقَالُوٓا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)

« وَقَالُوٓا إِنْ هَـٰذَآ » أى ادعاء ماذكر ، والاستدلال عليه والصدع بشأنه ، والقراع فيه « إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦] (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ)

[١٧] (أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ)

[١٨] (قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ)

« أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ * قُلْ » أى تبكيتاً لهم . « نَعَمْ » أى تبعثون « وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ » أى ذليلون ، لاجدل منكم يدفعه ولا قدرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٩] (فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ)

« فَإِنَّمَا هِىَ » أى البعثة « زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ » أى صيحة واحدة « فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ » أى قيام من مراقدهم أحياء ، أولو قوة مدركة ، بها يبصرون . أو ينتظرون مايفعل بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ)

« وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ » أى الجزاء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢١] (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)

[٢٢] (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)

« هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا » أى أنفسهم بالكفر والمعاصى والسعى بالفساد « وَأَزْوَاجَهُمْ » أى وأشباههم من الفجرة . أو نساءهم الكافرات « وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)

« مِن دُونِ اللَّهِ » أى من الأصنام وغيرها ، زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم « فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ » أى فعرفوهم طريقها ليسلكوها . والتعبير بـ (الهداية) و (الصراط) للتهكم بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٤] (وَقِفُوهُمْ ، إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ)

« وَقِفُوهُمْ » أى احبسوهم فى الموقف « إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ » أى عن عقائدهم وأعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ)

« مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ » أى لا ينصر بعضكم بعضاً ، وقد كان شأنكم التعاضد فى الحياة الأولى . وهو توبيخ لهم وتقريع .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[٢٦] (بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ)

« بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ » أى منقادون مخذولون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ)

[٢٨] (قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ)

« وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ » أى عن القهر والغلبة . أى كنتم تضطرونا إلى ما تدعونا إليه . كما فى آية[1] (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا) وقيل عن الحلف والقسم . وقيل عن جهة الخير وناحية الحق . من (اليمين) ضد الشؤم . أى توهمونا وتخدعونا أن ما أنتم عليه أمر ميمون فيه الخير والفوز . فأين مصداقه وقد نزل ما نزل ؟

(١) [٣٤ / سبأ / ٣٣] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)

[٣٠] (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ، بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ)

[٣١] (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ، إِنَّا لَذَائِقُونَ)

[٣٢] (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ)

[٣٣] (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ)

[٣٤] (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)

[٣٥] (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)

« قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ » أى عن الاستجابة للداعى إليها.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٦] (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)

« وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ » أى لقول من يقول بالمقدمات الخيالية عن الجنون . فرد عليهم بأنه لم يأت بكلام مخيل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٧] (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ)

« بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ » أى الذين هم أعقل الأمم وأحكم الحكماء . فمتى يتفقون على قول مصدره الجنون ؟

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٨] (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ)

[٣٩] (وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

[٤٠] (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

[٤١] (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ)

[٤٢] (فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ)

[٤٣] (فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ)

[٤٤] (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ)

« إِنَّكُمْ » أى بافترائكم « لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ * أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ » أى فى الصف مترائين ، لا يحجب بعضهم عن بعض ، ولا يتفاضلون فى المقاعد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٥] (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ)

« يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ » أى شراب معين ، جارٍ كالنهر لا ينقطع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٦] (بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ)

[٤٧] (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ)

« بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ » أى ما يغتال العقل ، ولا فساد من فساد خمر الدنيا « وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ » أى تذهب عقولهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٨] (وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ)

[٤٩] (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)

« وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ » أى على أزواجهن أو مبيضّاته تشبيها بالثوب المقصور، وهو المحوّر . « عِينٌ » أى كبار الأعين « كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ » أى بيض نعام فى الصفاء ، مستور لم يركب عليه غبار .

قال الشهاب : وهذا على عادة العرب فى تشبيه النساء بها . وخصت ببيض النعام، لصفائه وكونه أحسن منظراً من سائره . ولأنها تبيض فى الفلاة وتبعد ببيضها عن أن يمس . ولذا قالت العرب للنساء (بيضات الخدور) ولأن بياضه يشوبه قليل صفرة مع لمعان ، كما فى الدرّ. وهو لون محمود جدا . إذ البياض الصرف غير محمود . وإنما يحمد إذا شابهُ قليلُ حمرة فى الرجال ، وصفرة فى النساء . انتهى .

وحكى ابن جرير عن ابن عباس ؛ أنه عنى بالبيض المكنون (اللؤلؤ) .

ثم قال : والعرب تقول لكل مصون (مكنون) لؤلؤا كان أو غيره . كما قال أبو دهبل[1] :

وهى زهراء مثلُ لؤلؤةِ الغـوّاصِ مِيزَت مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

---

(١) من قصيدته التى مطلعها :

طال ليلى وبتّ كالمحزونِ ومَلِلْتُ الثَّواءَ فى جَيْرُونِ

جيرون : حصن فى دمشق ، وقيل : هى دمشق نفسها .

قالها فى عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان .

انظر الصفحة رقم ١٢٢ من الجزء السابع من الأغانى (طبعة دار الكتب) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥٠] (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ)

« فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ » معطوف على (يطاف) والمعنى، يشربون فيتحادثون على الشراب ، كعادة أهل الشرب ، عما جرى لهم وعليهم .

وقال القاشانىّ : أى يتحادثون أحاديث أهل الجنة والنار ، ومذاكرة أحوال السعداء والأشقياء ، مطلعين على كلا الفريقين وما هم فيه من الثواب والعقاب ، كما ذكر فى وصف أهل الأعراف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥١] (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ)

[٥٢] (يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ)

[٥٣] (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ)

« قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ » أى فى المحادثة « إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ » أى جليس فى الدنيا « يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ » أى لمبعوثون فمجزيّون . أى يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب. والمعنى: فهنا قد صدقنا ربنا وعده، وأحل بالقرين وعيده ، كما أشار له بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥٤] (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ)

« قَالَ » أى ذلك القائل « هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ » أى إلى أهل النار من كوى الجنة ومطالّها ، لأريكم ذلك القرين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥٥] (فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ)

[٥٦] (قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ)

[٥٧] (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ)

« فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ » أى وسطه « قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ » أى لتهلكنى بالإغواء « وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى » أى بالهداية واللطف بى « لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ » أى معك فى النار . وقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥٨] (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ)

[٥٩] (إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)

« أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » من تتمة كلامه لقرينه ، تقريعاً له . أو معاودة إلى محادثة جلسائه ، تحدثاً بنعمة الله تعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٠] (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ)

[٦١] (لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ)

« إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ » أى لنيل مثله ، فليجدّ المجدّون .

ولما وصف ملاذّ أهل الجنة ، تأثره بمطاعم أهل النار ، بقوله سبحانه :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٢] (أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ)

« أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ » وهى شجرة كريهة المنظر والطعم ، كما ستذكر صفتها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٣] (إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ)

[٦٤] (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ)

[٦٥] (طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ)

« إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً » أى محنة وعذابا « لِّلظَّٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ * طَلْعُهَا » أى حملها « كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ » أى مثل مايتخيل ويتوهم من قبح رؤوس الشياطين . فهى قبيحة الأصل والثمر والمنظر والملمس . قال الزمخشرىّ : وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر . لأن الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس ، لاعتقادهم أنه شر محض لايخلطه خير . فيقولون فى القبيح الصورة (كأنه وجه شيطان) (كأنه رأس شيطان) وإذا صوره المصوّرون جاءوا بصورته على أقبح مايقدر وأهوله . كما أنهم اعتقدوا فى الملك أنه خير محض لاشر فيه . فشبهوا به الصورة الحسنة . قال الله تعالى[1] (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) وهذا تشبيه تخييلىّ . انتهى . أى لأمر مركوز فى الخيال . وبه يندفع مايقال إنه تشبيه بما لا يعرف ، وذلك لأنه لايشترط أن يكون معروفا فى الخارج . بل يكفى كونه مركوزا فى الذهن والخيال ،

(١) [١٢ / يوسف / ٣١] .

ألا ترى امرأ القيس[٣] ـ وهو ملك الشعراء ـ يقول :

* ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال *

وهو لم ير الغول . والغول نوع من الشياطين ، لأنه فى خيال كل أحد مرتسم بصورة قبيحة ، وإن كان قابلًا للتشكل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٦] (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ)

« فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا » أى من طلعها « فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ » أى لغلبة الجوع أو الإكراه على أكلها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٧] (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ)

« ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ » أى لشراباً كالصديد أو الغساق ، ممزوجاً من ماء متناه فى الحرارة ، يقطع أمعاءهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٨] (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ)

« ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ » أى مصيرهم « لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ » أى إلى دركاتها . أو إلى نفسها

---

(١) البيت :

أيقتلنى والمشرفىُّ مُضَاجِعِى ومسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ !

من قصيدته التى مطلعها :

ألا عِمْ صباحاً أيها الطللُ البالِى وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى

انظر الصفحة رقم ٢٧ من الديوان (طبعة دار المعارف) .

لامفر لهم منها ولا محيص كيفما تحولوا . قال ابن كثير : أى ثم إن مردّهم بعد هـذا الفصل لإلى نار تتأجج وسعير تتوهج . فتارة فى هذا وتارة فى هذا . كما قال تعـالى[1] (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ) هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هـذه الآية . وهو تفسير حسن قوىّ . انتهى .

ومن لطائف الإشارات فى هذه الآية، ماقاله القاشانىّ . وعبارته : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ) وهى شجرة النفس الخبيثة المحجوبة النابتة فى قعر جهنم الطبيعة المتشعبة أغصانها فى دركاتها القبيحة الهائلة ثمراتها من الرذائل والخبائث كأنها من غاية القبح والتشوّه والخبث بالتنفر (رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ) أى تنشأ منها الدواعى المهلكة والنوازع المردية الباعثة على الأفعال القبيحة والأعمال السيئة . فتلك أصول الشيطنة ومبادىء الشر والمفسدة، فكانت رؤوس الشياطين (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا) يستمدون منها ويغتذون ويتقوّون. فإن الأشرار غذاؤهم من الشرور ولا يلتذون إلا بها (فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ) بالهيئات الفاسقة والصفات المظلمة، كالمتلىء غضبا وحقدا وحسدا وقت هيجانها (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) الأهواء الطبيعية والمُنىَ السيئة الرديئة ، ومحبات الأمور السفلية، وقصور الشرور الموبقة ، التى تكسر بعض غلة الأشرار (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ) لغلبة الحرص والشره، بالشهوة والحقـد والبغض والطمع وأمثالها . واستيلاء دواعيها مع امتناع حصول مباغيها . انتهى .

وهذه الإشارات من المجازات التى تتسع لها اللغة، لأنها لاتنحصر فى الحقيقة، ولا يقال إنها المرادة هنا ، لنبوّها عن نظائرها من آيات الوعيد . والله أعلم . وقوله تعالى :

---

(١) [٥٥ / الرحمن / ٤٤] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦٩] (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ)

[٧٠] (فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ)

« إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ » تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال. و(الإهراع) الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم . وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير نظر وبحث ، بل مجرد تقليد وترك اتباع دليل . قال الرازىّ : ولو لم يوجد فى القرآن آية غير هذه الآية فى ذم التقليد ، لكفى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧١] (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ)

[٧٢] (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ)

« وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ » أى أنبياء حذروهم العواقب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧٣] (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ)

« فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ » أى الذين أُنذروا وخوِّفوا. فقد أُهلكوا جميعاً.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧٤] (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

« إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ » أى الذين أخلصوا دينهم لله . أو الذين أخلصهم تعالى لدينه . على القراءتين . أى فإنه تعالى نصرهم وجعل العاقبة لهم . ثم أشار تعالى إلى أنبائهم ، تثبيتاً لفؤاده صلوات الله عليه ، وتبشيراً لأتباعه ، بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧٥] (وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ)

[٧٦] (وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)

[٧٧] (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ)

« وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ » أى بقوله[1] (رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا) « فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ » أى نحن بهلاك قومه . لأنه لا يجيب المضطر غيره « وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ » أى من الغرق والطوفان . والمراد بأهله ، من آمن معه « وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ » أى فى الأرض بعد هلاك قومه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٧٨] (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ)

[٧٩] (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ)

« وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ » أى أبقينا عليه فى الأمم بعده ثناء حسنا ، فمفعول (تركنا) محذوف ، أو ما حكاه تعالى بقوله « سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ » أى أن يسلموا عليه إلى يوم القيامة . أى أن يقولوا هذه الجملة . قال السمين : قوله (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ) مبتدأ وخبر . وفيه أوجه : أحدها أنه مفسر لـ (تركنا) والثانى أنه مفسر لمفعوله . أى تركنا عليه شيئاً وهو هذا الكلام . أو ثَمَّ قول مقدر . أى فقلنا سلام . أو ضمن (تركنا) معنى (قلنا) أو سلط (تركنا) على ما بعده . وقرئ (سلاما) وهو مفعول به لـ (تركنا) .

---

(١) [٧١ / نوح / ٢٦] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٠] (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)

« إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ » تعليل لما أثيب به من التكرمة ، بأنه مجازاة له على إحسانه ، وهو مجاهدته فى إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الحق ليلاً ونهاراً ، سرًّا وجهاراً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨١] (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)

« إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ » أى المصدقين . وتعليل إحسانه بالإيمان ، إظهار لفضل الإيمان ومزيته . حيث مدح من هو من كبار الرسل به . فالمقصود بالصفة مدحها نفسها ، لا مدح موصوفها . وذلك لأن الإيمان أساس لكل خير يوجد ، ومركز لدائرته ، ومسك خاتمته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٢] (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ)

« ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ » أى من كفار قومه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٣] (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ)

« وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ » أى ممن شايعه وتابعه فى الإيمان والدعوة القوية إلى التوحيد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٤] (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

« إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » أى أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب ،

باق على الفطرة ، سليم عن النقائص والآفات ، محافظ على عهد التوحيد الفطرىّ ، منكر على من غيّر وبدّل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٥] (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ)

« إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ » أى من دون الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٦] (أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ)

« أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ » أى أتريدون بطريق الكذب ، آلهة دون الله ؟

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٧] (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

« فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » أى بمن هو الحقيق بالعبادة ، لكونه ربًّا للعالمين ، حتى تركتم عبادته وأشركتم به غيره . والمعنى : لايقدّر فى وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته. لأن استحقاقه للعبادة أظهر من أن يختلج عرق شبهة فيه . فأنكر ظنهم الكائن فى بيان استحقاقه للعبادة . وهو الذى حملهم على عبادة غيره . أو المعنى : فما ظنكم به ؟ ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره؟ وعلى كلٍّ ، فالاستفهام إنكارىّ . والمراد من إنكار الظن إنكار ما يقتضيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٨] (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ)

« فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ » أى ليريهم على أنه يستدل بها على شىء لأنهم كانوا منجّمين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٨٩] (فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ)

« فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ » أى مريض لا يمكننى الخروج معكم إلى معيّدكم . ترخص عليه السلام بذلك ، ليتخلص من شهود زورهم ومنكراتهم وأفانين شركهم ، مما تجوزه المصلحة . أو عَنَى أنه سقيم القلب ، تشبيها لغمه وحزنه بالمرض ، على طريق التشبيه . أو أراد أنه مستعد للموت استعداد المريض . فهو استعارة أو مجاز مرسل .

قال الزمخشرىّ : والذى قاله إبراهيم عليه السلام ، معراض من الكلام . ولقد نوى به أن مَن فى عنقه الموت ، سقيم . ومنه المثل (كفى بالسلامة داء) وقول لبيد[1] :

فدعوتُ رَبِّى بالسلامة جاهدا ... لِيُصِحَّنى ، فإذا السلامةُ دَاءُ

ومات رجل فجأة ، فالتفّ عليه الناس وقالوا : مات وهو صحيح . فقال أعرابىٌّ : أصحيحٌ مَن الموت فى عنقه ؟ انتهى .

وقال السيوطىّ فى (الإكليل) : فى الآية استعمال المعاريض والمجاز للمصلحة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩٠] (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ)

« فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ » أى إلى معيّدهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩١] (فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)

« فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ » أى ذهب إليها فى خفية « فَقَالَ » أى للأصنام استهزاء « أَلَا تَأْكُلُونَ » .

---

(١) رواه المبرد فى الكامل غير منسوب .

وقال فى (رغبة الآمل ج ٣ ص ٣٥) : ينسب إلى عبد الرحمن بن سويد المرّىّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩٢] (مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ)

[٩٣] (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ)

[٩٤] (فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)

[٩٥] (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)

[٩٦] (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)

« مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ » أى بإيجاب ولا سلب « فَرَاغَ عَلَيْهِمْ » أى هجم عليهم « ضَرْبًا بِالْيَمِينِ » أى التى هى أقوى الباطشتين ، فكسرها . « فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ » أى إلى إبراهيم بعد ما رجعوا « يَزِفُّونَ » أى يسرعون لمعاتبته على ما صدر منه . فأخذ عليه السلام يبرهن لهم على فساد عبادتهم « قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ » أى من الأصنام « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » أى وما تعملونه من الأصنام المنوعة الأشكال ، المختلفة المقادير . ولما قامت عليهم الحجة ، عدلوا إلى أخذه باليد والقهر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩٧] (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِى الْجَحِيمِ)

[٩٨] (فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ الْأَسْفَلِينَ)

« قَالُوا ابْنُوا لَهُ » أى لإحرافه « بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِى الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ الْأَسْفَلِينَ » أى الأذلين بإبطال كيدهم . جعل النار عليه بردا وسلاما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩٩] (وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ)

« وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى » أى مهاجر إلى بلد أعبد فيه ربى ، وأعصم فيه دينى .

قال الرازىّ : فيه دليل على أن الموضع الذى تكثر فيه الأعداء ، تجب مهاجرته . وذلك لأن إبراهيم عليه السلام ، مع ماخصه تعالى به من أعظم أنواع النصرة ، لما أحسّ من قومه العداوة الشديدة ، هاجر . فلأنْ يجب على غيره ، بالأولى. وقوله « سَيَهْدِينِ » أى إلى مافيه صلاح دينى ، أو إلى مقصدى. وإنما بتّ القول لسبق وعده تعالى. إذ تكفل بهدايته. أولأن من كان مع الله كان الله معه[1] (احفظ الله يحفظك) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٠] (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

[١٠١] (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ)

« رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ » أى ولدا صالحا يعينني على الدعوة والطاعة « فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ » أى متسع الصدر حسن الصبر والإغضاء فى كل أمر . والحلم رأس الصلاح وأصل الفضائل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٢] (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

« فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ » أى السنّ الذى يقدر فيه على السعى والعمل « قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ » أى: إنى أمرت فى المنام بذبحك ـ ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة ـ فانظر هل تصبر على إمضائى أمر الرؤيا والعمل بظاهرها؟

(١) أخرجه الترمذىّ فى : ٣٥ ـ كتاب القيامة ، ٥٩ ـ باب حدثنا بشر بن هلال .

« قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ » ، أى يأمرك الله به . فإن كان ذاك أمراً من لدنه فأمضه . قال القاضى : ولعله فهم من كلامه أنه رأى أنه يذبحه مأمورا به. أوعلم أن رؤيا الأنبياء حق، وأن مثل ذلك لايقدمون عليه إلا بأمر ، ثم قال : ولعل الأمر فى المنام دون اليقظة ، لتكون مبادرتهما إلى الامتثال، أدل على كمال الانقياد والإخلاص . انتهى .

قال الرازىّ : الحكمة فى مشاورة الابن فى هذا الباب ، أن يطلع ابنه على هذه الواقعة ليظهر له صبره فى طاعة الله ، فتكون فيه قرة عين لإبراهيم، حيث يراه قد بلغ فى الحِلْم إلى هذا الحد العظيم ، وفى الصبر على أشد المكاره إلى هذه الدرجة العالية . ويحصل للابن الثواب العظيم فى الآخرة ، والثناء الحسن فى الدنيا . وقوله « سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ » أى على الذبح، أو على قضاء الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٣] (فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ)

« فَلَمَّآ أَسْلَمَا » أى استسلما وانقادا لأمره تعالى بدون إبطاء، واستلّ إبراهيم السكين، « وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ » أى صرعه على شقه ، فوقع جبينُه على الأرض وهو أحد جانبى الجبهة . و (تله) أصل معناه : رماه على التلّ ، وهو التراب المجتمع . ك (تربه) . ثم عم لكل صرع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٤] (وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ)

[١٠٥] (قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ، إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)

«وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ » أى لاتذبحه وقد قمت بمصداقها فى بذل الوسع من الأخذ بإمضاء ماتشير إليه وكمال الطاعة فى هذا الشاقّ ، وأوتيت أجر الامتثال والصبر والثبات . وفى جواب (لما) ثلاثة أوجه ، أظهرها أنه محذوف. أى ناديته الملائكة.

٥٠٥٠

أو ظهر صبرها . أو أجزلنا لهما أجرهما . الثانى فى أنه (وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ) بزيادة (الواو) وهو رأى الكوفيين والأخفش . الثالث أنه (وَنَٰدَيْنَٰهُ) والواو زائدة أيضا . « إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ » أى باللطف والعناية والنداء والوحى والفرج بعد الشدة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٦] (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ)

« إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ » أى الاختبار البيّن الذى يتميز فيه المخلص من غيره . إشارة إلى أن هذا الأمر كان ابتلاء وامتحاناً لإبراهيم فى صدق الخلة لله ، وتضحية أعز عزيز لديه ، وأحب محبوب عنده ، لأمر ربه تعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٧] (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)

« وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » أى رزقناه ما يذبح بدلًا عنه وفداء له ، منة وتطولًا . وقد روى أنه عليه السلام لما نودى ، حانت منه التفاتة إلى ماحوله ، فأبصر كبشاً قد انتشب قرناه فى شجرة . فتم به المرئىّ فى المنام المقصود به القربان لله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٠٨] (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ)

[١٠٩] (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ)

[١١٠] (كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)

[١١١] (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)

[١١٢] (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

[١١٣](وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ)

« وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ » أى مثل ماتركنا على نوح . كما تقدم بيانه وإعرابه « كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ » أى على إبراهيم « وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ » أى: بتكثير الذرية وتسلسل النبوة فيهم ، وجعلهم ملوكا ، وإيتائهم مالم يؤت أحد « وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ » أى فى عمله « وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ » أى بالكفر والمعاصى « مُبِينٌ » أى ظاهر الظلم .

تنبيهات :

الأول ـ يروى المفسرون ههنا فى قصة الذبح روايات منكرة لم يصحّ سندها ولامتنها . بل ولم تحسن ، فهى معضلة تنتهى إلى السّدّىّ وكعب . والسدّىّ حاله معلوم فى ضعف مروياته . وكذلك كعب .

قال ابن كثير رحمه الله : لما أسلم كعب الأحبار فى الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قديماً : فربما استمع له عمر . فترخص الناس فى استماع ما عنده عنه ، غثها وسمينها . وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده . انتهى .

ولقد صدق رحمه الله . ولذا لا نرى التزيد على أصل ماقص فى التنزيل من الضرورىّ له ، إلا إذا صح سنده ، أو اطمأن القلب به . وقد وَلِعَ الخطباء فى دواوينهم برواية هذه القصة فى خطبة الأضحى من طرقها الواهية عند المحدثين . ويرونها ضربة لازب على ضعف سندها وكون متنها منكرا أيضاً أوموضوعا . ولما صنفتُ مجموعة الخطب حذفتُ هذه الرواية من خطبة الأضحى ككل مروىّ ضعيف فى فضائل الشهور والأوقات ، واقتصرتُ على جياد الأخبار والآثار . وذلك من فضل الله علينا فلا نحصى ثناء عليه . وأمثل ماروى فى هذا النبأ من

الآثار ما أخرجه الإمام أحمد(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا، قال : لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك ، عرض له الشيطان عند السعى . فسابقه فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة . فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب . ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات . ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض . فقال له : يا أبت ! إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفننى فيه: فعالجه ليخلصه ، فنودى من خلفه : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا . فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين . قال ابن عباس : لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش .

الثانى ـ قال السيوطىّ فى (الإكليل) : فى هذه الآية أن رؤيا الأنبياء وحى، وجواز نسخ الفعل قبل التمكن ، وتقديم المشيئة فى كل قول . واستدل بعضهم بهذه القصة على أن من نذر ذبح ولده ، لزمه ذبح شاة .

ثم قال السيوطىّ : فسّر الذِّبح العظيم فى الأحاديث والآثار بكبش . فاستدل به المالكية على أن الغنم فى التضحية أفضل من الإبل . انتهى .

الثالث ـ استدل بالآية على أنه تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه ـ كما ذكره الرازىّ ـ وذلك فى باب الابتلاء . أى ابتلاء المأمور فى إخلاصه وصدقه ، فيما يشق على النفس تحمله .

الرابع ـ يذكر كثير الخلافَ فى الذبيح . قال الإمام ابن القيم فى (زاد المعاد) : وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها . وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إنما هو متلقى من أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم . فإن فيه إن الله أمر

(٣) أخرجه فى المسند بالصفحة رقم ٢٩٧ من الجزء الأول (طبعة الحلبىّ) والحديث رقم ٢٧٠٧ (طبعة المعارف) .

إبراهيم أن يذبح ابنه (بكره) . وفى لفظ (وحيده) ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده . والذى غرّ وأصحاب هذا القول إن فى التوارة التى بأيديهم (اذبح ابنك إسحاق) قال : وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم . لأنهم تناقض قوله (بكرك) (وحيدك) ولكن يهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم ، ويختارونه دون العرب. ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله . وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق ، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى[1] (لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ) فحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد ثم يأمر بذبحه . ولاريب أن يعقوب داخل فى البشارة . فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب فى اللفظ الواحد . وهذا ظاهر الكلام وسياقه . فإن قيل ، لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجرورا عطفا على إسحٰق ، فكانت القراءة (ومن وراء إسحٰق يعقوب) أى ويعقوب من وراء إسحٰق . قيل لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به . لأن البشارة قول مخصوص : وهى أول خبر سارّ صادق . وقوله (ومن وراء إسحٰق يعقوب) جملة متضمنة بهذه القيود ، فيكون بشارة بل حقيقة البشارة هى الجملة الخبرية . أو لما كانت البشارة قولاً، كان موضع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول . كأن المعنى: وقلنا لها من وراء إسحٰق يعقوب والقائل إذا قال : بشرت فلاناً بقدوم أخيه ، وثقله فى أثره ، لم يعقل منه إلا بشارة بالأمرين جميعاً . هذا مما لا يستريب ذوفهم فيه البتة . ثم يضعف الجر أمر آخر . وهو ضعف قولك (مررت بزيد ومن بعده عمرو) لأن العاطف يقوم حرف الجر، فلا يفصل بينه وبين المجرور: كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور ، ويدل عليه أنه سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه فى هذه السورة، قال[2] (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا

(١) [١١ / هود / ٧٠و٧١] . (١) [٣٧ / الصافات / ١٠٣ ـ ١١١] .

كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ) ثم قال[1] (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) فهذا بشارة من الله له، شكراً على صبره على ما أمر به. وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول. بل هو كالنص فيه . فإن قيل: فالبشارة الثانية وقعت على نبوّته . أى لما صبر الأب على ما أمر به وأسلم الولد لأمر الله، جازاه الله على ذلك، بأن أعطاه النبوة . قيل: البشارة وقعت على المجموع، على ذاته ووجوده وأن يكون نبيًّا . ولهذا ينصب (نبيًّا) على الحال المقدرأى مقدراً نبوته . فلا يمكن إخراج البشارة أن يقع على الأصل، ثم يخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة . هذا محال من الكلام . بل إذا وقعت البشارة على نبوته ، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى ، وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر . كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار ، تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه ، وإقامةً لذكر الله . ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة ، دون إسحٰق وأمه . ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل . وكان النحر بمكة، من تمام حج البيت الذى كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانا ومكانا . ولو كان الذبح بالشام ، كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة . وأيضا فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليما لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه. ولما ذكر إسحٰق سماه عليما فقال[2] (هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ) إلى أن قال[3] (قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ) وهذا إسحٰق بلا ريب ، لأنه من امرأته وهى المبشرة به. وأما إسماعيل فمن السرية. وأيضاً فإنهما بشّرا به على الكبر واليأس

(١) [٣٧ / الصافات / ١١٢]. (٢) [٥١ / الذاريات / ٢٤ و ٢٥].
(٣) [٥١ / الذاريات / ٢٨].

من الولد . وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك ، وأيضاً فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده . وإبراهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له ، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته ، والله تعالى قد اتخذه خليلا . والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها . فلما أخذ الولدُ شعبةً من قلب الوالد ، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل. فأمره الجليل بذبح المحبوب . فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد ، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق فى الذبح مصلحة . إذْ كانت المصلحة إنما هى فى العزم وتوطين النفس فيه . فقد حصل المقصود ، فنسخ الأمر ، وفدى الذبيح ، وصدق الخليل الرؤيا ، وحصل مراد الرب . ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار ، إنما حصل عند أول مولود . ولم يكن ليحصل فى المولود الآخر دون الأول . بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ، مايقتضى الأمر بذبحه . وهذا فى غاية الظهور . وأيضا فإن سارة امرأة الخليل غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة . فإنها كانت جارية . فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة . فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها فى أرض مكة ، ليبرّد عن سارة حرارة الغيرة . وهذا من رحمته ورأفته . فكيف يأمره سبحانه بعد هذا ، أن يذبح ابنها، ويدع ابن الجارية بحاله هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وخيرته لها . فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية ؟ بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية ، فحينئذ يرق قلب الست على ولدها ، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها ، وأن الله لا يضيع بيتاً ، هذه وابنها منهم . ويرى عباده جبره بعد الكسر ، ولطفه بعد الشدة . وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم ، إلى ذبح الولد ، آلت إلى ما آلت إليه ، من جعل آثارها وموطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ، ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة . وهذا سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه ، أن يمن عليه بعد استضعافه وذله

وانكساره . قال تعالى[١] (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ) [٢](ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) انتهى .

وقال السيوطىّ فى (الإكليل) : واستدل بقوله تعالى بعد[٣] (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ) من قال إن الذبيح إسمعيل . وهو الذى رجحه جماعة . واحتجوا له بأدلة . منها وصفه بالحلم وذكر البشارة بإسحق بعده . والبشارة بيعقوب من وراء إسحق . وغير ذلك . وهى أمور ظنية لاقطعية. ثم قال: وتأملت القرآن فوجدت فيه مايقتضى القطع أو يقرب منه ـ ولم أر من سبقنى إلى استنباطه ـ وهو أن البشارة وقعت مرتين. مرة فى قوله[٤] (إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ) فهذه الآية قاطعة فى أن هذا المبشر به هو الذبيح. ومرة فى قوله[٥] (وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ) الآية . فقد صرح فيها أن المبشر به إسحق. ولم يكن بسؤال من إبراهيم. بل قالت امرأته إنها عجوز ، وإنه شيخ . وكان ذلك فى الشام لما جاءت الملائكة إليه بسبب قوم لوط وهو فى آخر أمره . أما البشارة الأولى لما انتقل من العراق إلى الشام ، حين كان سنه لايستغرب فيه الولد ، ولذلك سأله . فعلمنا بذلك أنهما بشارتان فى وقتين ، بغلامين. أحدهما بغير سؤال ، وهو إسحق صريحا . والثانية قبل ذلك بسؤال وهو غيره. فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح . انتهى .

---

(١) [٢٨/ القصص/ ٥]. (٢) [٥٧/ الحديد/ ٢١]. (٣) [٣٧/ الصافات/ ١١٢].
(٤) [٣٧/ الصافات/ ٩٩ـ١٠٢] . (٥) [١١/ هود/ ٧١] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١٤] (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ)

« وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ » أى بالنبوة والرسالة ، والاصطفاء على عالَمَىْ زمانهما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١٥] (وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)

« وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ » وهوقهر فرعون لهم، بذبح الأولاد ونهاية الاستعباد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١٦] (وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ)

« وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ » أى مع ضعفهم وقوة فرعون وقومه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١٧] (وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ)

« وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ » أى البليغ فى بيانه للأحكام والتشريعات ، والآداب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١١٨] (وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)

« وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ » أى فى باب الاعتقاد والمعاملات الموصل رعايته والسلوك عليه ، إلى السعادة .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[١١٩] (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ)

[١٢٠] (سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ)

[١٢١] (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ)

[١٢٢] (إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)

[١٢٣] (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

« وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ » وهو من أنبياء بنى إسرائيل من بعد زمن سليمان . أرسله الله لما انتشرت الوثنية فى الإسرائيليين ، وساعد على انتشارها بينهم ملوكهم ، وبنوا لها المذابح وعبدوها من دون الله تعالى ، ونبذوا أحكام التوراة ظهريا . فقام إلياس عليه السلام يوبخهم على ضلالهم ويدعوهم إلى التوحيد ، ويسمى فى التوراة (إيليا) وله نبأ فيها كبير .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢٤] (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ)

« إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ » أى عذاب الله ونقمته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢٥] (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ)

« أَتَدْعُونَ بَعْلًا » أى تعبدونه أو تطلبون الخير منه ؟ وهو صنم من أصنام الفنيقيين ، أقاموا له ولغيره من الأوثان معابد ومذابح وكهنة ، يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والأعياد الحافلة . ويقدمون لهم ضحايا بشرية « وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ » أى تتركون عبادته . قال القاضى : وقد أشار فيه إلى المقتضى للإنكار ، المعنىّ بالهمزة . ثم صرح به بقوله:

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢٦] (ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ)

[١٢٧] (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)

« ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ » أى فى العذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢٨] (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

[١٢٩] (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ)

[١٣٠] (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ)

« إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ » أى الذين آمنوا به واتبعوه « وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ * سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ » بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بـ (ياسين) . وقرئ آل ياسين بإضافة آل (بمعنى أهل) إليه . وكله من التصرف فى العَلَم الأصلىّ ، الذى هو (إيليا) على قاعدة العرب فى الأعلام العجمية ، إذا أرادت أن تلطفها فى الاستعمال ، وتخففها على الألسنة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣١] (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)

[١٣٢] (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)

[١٣٣] (وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

[١٣٤] (إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ)

« إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ » أى للدعاء إلى الله والنهى عن الفواحش « إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ » أى من عذاب قومه المنذرين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣٥] (إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ)

« إِلَّا عَجُوزًا » وهى امرأته ، فإنها وإن خرجت عن مكان عذابهم ، كانت « فِى ٱلْغَٰبِرِينَ » أى فى حكم الباقين فى العذاب ، لكونها على دين قومها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣٦] (ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ)

« ثُمَّ دَمَّرْنَا » أى أهلكنا « ٱلْءَاخَرِينَ » بجعل قريتهم عاليها سافلها ، وإمطار حجارة من سجيل عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٣٧] (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ)

[١٣٨] (وَبِٱلَّيْلِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

[١٣٩] (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)

« وَإِنَّكُمْ » أى ياأهل مكة « لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِٱلَّيْلِ » أى فترون دائما علامات مؤاخذتهم « أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ » أى إلى أهل نينوى للتوحيد ، والزجر عن ارتكاب المآثم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٠] (إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)

« إِذْ أَبَقَ » أى : بغير إذن ربه عن قومه المرسل إليهم « إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ »

أى السفينة المملوءة ، ليركب منها إلى بلد آخر . روى أنه نزل من يافا وركب الفلك إلى ترسيس . فهبت ريح شديدة كادت تغرقهم . فاقترعوا ليعلموا بسبب مَن ، أصابهم هذا البلاء . فوقعت على يونس . فألقوه فى البحر . وهو معنى قوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤١] (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ)

« فَسَاهَمَ » أى قارع « فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ » أى المغلوبين بالقرعة . وأصله الزلق عن الظفر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٢] (فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)

« فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ » أى ابتلعه « وَهُوَ مُلِيمٌ » أى آت بما يلام عليه من السفر بغير أمر ربه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٣] (فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ)

« فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ » أى الذاكرين الله بالتسبيح والإنابة والتوبة ، فى بطن الحوت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٤] (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

« لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » أى لكان بطنه قبراً له إلى يوم القيامة . أى لكن رحمناه بتسبيحه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٥] (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ)

« فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَآءِ » أى حملنا الحوت على طرحه باليبس من الشط « وَهُوَ سَقِيمٌ » أى مما ناله من هذا المحبس الذى يأخذ بالخناق .

القول فى تأويل قوله تعالى:

[١٤٦] (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ)

« وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ » أى لتقيه من الذباب والشمس .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٧] (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)

«وَأَرْسَلْنَاهُ» أى بعد ذلك ، بأن أمرناه ثانية بالذهاب « إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ » وهم قومه المرسل إليهم ، الذين أبق عن الذهاب إليهم أوّلا . و (أو) للإضراب . أو بمعنى الواو أو للشك بالنسبة إلى مرأى الناظر . أى إذا رآها الرائى قال : هى مائة ألف أو أكثر . والغرض الوصف بالكثرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٨] (فَـَٔامَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)

« فَـَٔامَنُوا » أى فسار إليهم ودعاهم إلى الله ، وأنذرهم عذابه إن لم يرجعوا عن الكفر والغى والضلال والفساد والإفساد . فأشفقوا من إنذاره واستكانوا لدعوته وآمنوا معه « فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ » أى حين انقضاء آجالهم بالعيش الهنىّ والمقام الأمين، ببركة الإيمان والعمل الصالح . وإنما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص من قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ) إلخ اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٤٩] (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ)

« فَٱسْتَفْتِهِمْ » أى قريشاً المنذَرين بأنباء الرسل وقومهم « أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ » أى سلهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها . جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور ، فى قولهم (الملائكة بنات الله) مع كراهتهم الشديدة لهنّ ، ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٠] (أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ)

« أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ » أى حاضرون ، حتى فاهوا بتلك العظيمة.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥١] (أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ)

[١٥٢] (وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ)

« أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ ٱللَّهُ » أى صدر منه الولد . مع أن الولادة من خواص الأجسام القابلة للفساد « وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ » أى فى مقالتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٣] (أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ)

« أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ » أى اختار الإناث « عَلَى ٱلْبَنِينَ » أى الذكور .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٤] (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

« مَا لَكُمْ » أى : أىّ شىء عرض لعقولكم « كَيْفَ تَحْكُمُونَ » بنسبة الناقص إلى المقام الأعلى ، وتخيّركم الكامل .

لطيفة :

قال الزمخشرىّ : قال قلت: (أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ) بفتح الهمزة، استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد ، فكيف صحت قراءة أبى جعفر بكسر الهمزة على الإثبات ؟ قلت : جعله من كلام الكفرة، بدلا عن قولهم (وَلَدَ ٱللَّهُ) وقد قرأبها حمزة والأعمش رضى الله عنهما. وهذه القراءة، وإن كان هذا محملها، فهى ضعيفة. والذى أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها . وذلك قوله (وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ) و (مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) فمن جعلها للإثبات ، فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين . انتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٥] (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)

« أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ » أى أنه منزه عن ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٦] (أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ)

« أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ » أى حجة واضحة وبرهان قاطع. ثم لا يجوز أن يكون ذلك عقليا ، لاستحالته عند العقل . فغايته أن يكون مأثورا عن أسفار مقدسة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٧] (فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ)

« فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ » أى المسطور فيه ذلك عن وحى سماوىّ « إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ » أى فى دعواكم. وهذا كقوله تعالى[1] (أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ) وفيه إشعار بأن المدار فى الدعوى على البرهان البين. وأنها بدونه لا يقام لها وزن.

(١) [٣٠ / الروم / ٣٥] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٨] (وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا، وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)

«وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا» أى قربا منه. قال مجاهد: قال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى . فقال أبو بكر رضى الله عنه : فَمَنْ أمهاتهن ؟ قالوا : بنات سروات الجن . وكذا قال قتادة وابن زيد . ثم أشار إلى أن لانسبة تقتضى النسب بوجه ما. عدا عن استحالة ذلك عقلا ، بقوله « وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ » أى المنسوب إليهم هـذا النسب « إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ » أى فى النار يوم القيامة . لـكون الجنة كالجن ، علما فى الأغلب للفرقة الفاسقة عن أمر ربها من عالم الشياطين . أى: فالمنسوب إليهم يتبرؤون من هذه النسبة، لما يعلمون من أنفسهم أنهم من أهل السعير، لا من عالم الأرواح الطاهرة، فما بال هؤلاء المشركين يهرفون بما لا يعرفون ؟ وفسر بعضهم (الجنة) بالملائـكة المحدّث عنها قبلُ . والضمير فى (إنهم) للـكفرة. ولعل ماذكرناه أولى، لخلوّه عن تشتيت الضمائر، ولموافقته للأغلب من استعمال الجن والجنة . وذلك فيما عدا الملائـكة . وقلنا (الأغلب) لما سمع من إطلاق الجن فى الملائـكة . قال الأعشى[1] يذكر سليمان عليه السلام :

وسخّر من جنّ الملائك تسعةً قياما لديه يعملون محاربا

وقال الراغب : الجن يقال على وجهين : أحـدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها، بإزاء الإنس. فعلى هذا تدخل فيه الملائـكة. وقيل: بل الجن بعض الروحانيين. وذلك أن الروحانيين ثلاثة: أخيار وهم الملائـكة. وأشرار وهم الشياطين. وأوساط فيهم أخيار وأشرار، وهم الجن، ويدل على ذلك قوله تعالى[2] (قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ) إلى قوله تعالى[3] (وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ) انتهى. وردّ إطلاق الجن على الملائـكة العلامةُ الفاسى فى شرحه على (القاموس) فقال : تفسير الجن بالملائـكة مردود . إذ خلق الملائـكة من نور لا من نار كالجن . والملائـكة معصومون . ولا يتناسلون ولا يتّصفون بذكورة وأنوثة ، بخلاف

(١) أنشده فى اللسان (مجلد ١٣ ص ٩٧ ، طبعة بيروت) هكذا ... يعملون بلا أجر.
(٢) [٧٢ / الجن / ١] . (٣) [٧٢ / الجن / ١٤] .

الجن. ولهذا قال الجماهير: الاستثناء فى قوله تعالى[1] (إِلَّآ إِبْلِيسَ) منقطع أو متصل. لكونه كان مغمورا فيهم، متخلقا بأخلاقهم . انتهى. وهو يؤيد ماذهبنا إليه. وبيت الأعشى لا يصلح حجة ، لفساد مصداقه . لأن سليمان لم تسخَّر الملائكة لتشييد له المبانى. وليس ذلك من عملهم عليهم السلام . وقد مر الكلام على ذلك فى تفسير سورة (سبأ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٥٩] (سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)

« سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ » أى من الولد والنسب . وقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى:

[١٦٠] (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

« إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ » استثناء من (المحضرين) الذين هم الجنة، متصل على القول الأول ، أى المؤمنين منهم . ومنقطع على الثانى. أو استثناء منقطع من (واو) يصفون. هذا، وبقى وجه فى الآية لم يذكروه . وهو أن يراد بالنسب المناسبة والمشاكلة فى العبادة . ويراد بالجنة الملائكة . ويكون المراد من الآية الإخبار عمن عبد الملائكة من العرب وجعلوهم ندًّا ومثلا له تعالى ، وحكاية لضلال آخر لهم ، غير ضلال دعواهم ، أنهم بنات الله سبحانه ، من عبادتهم لهم . مع أنهم عليهم السلام يعلمون أن هؤلاء الضالين محضرون فى العذاب. والآية فى هذا كآية[2] (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم، بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ، أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) وكان السياق من هنا إلى آخر ، كالسياق فى طليعة السورة. كله فى تقرير عبودية الملائكة له تعالى، وكونها من مخلوقاته الصافّة لعبادته، فأنَّى تستحق الربوبية؟ والله أعلم. وقوله:

---

(١) [٢ / البقرة / ٣٤] . (٢) [٣٤ / سبأ / ٤٠و٤١] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦١] (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ)

« فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ » عود إلى خطابهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٢] (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ)

« مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ » أى مفسدين أحداً بالإغواء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٣] (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ)

« إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ » أى ضالّ مثلكم ، مستوجب للنار ، قال ابن جرير[1]: يقول تعالى ذكره: فإنكم أيها المشركون بالله (وَمَا تَعْبُدُونَ) من الآلهة والأوثان (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ) أى ما أنتم على ماتعبدون من دون الله بمضلين أحداً ، (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ) أى مَن سبق فى علمى أنه صال الجحيم . وقد قيل: إن معنى (عليه) به. انتهى.

ثم بين تعالى اعتراف الملائكة بالعبودية ، للرد على عبدتهم ، بقوله حاكيا عنهم :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٤] (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)

« وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ » أى فى العبودية وتسخيره فيما يريده تعالى منه. لا يتعدى فيه طوره ، ولا يجاوز منه قدره .

---

(١) انظر الصفحة رقم ١٠٩ من الجزء الثالث والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٥] (وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ)

« وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ » أى فى أداء الطاعة ومنازل الخدمة التى نؤمر بها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٦] (وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ)

« وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ » أى المنزهون الله عما يصفه به الملحدون . أو المصلون له خشوعاً لعظمته ، وتواضعاً لجلاله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٧] (وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ)

« وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ » أى مشركو قريش .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٨] (لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ)

« لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ » أى كتاباً من الكتب التى نزلت عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٦٩] (لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)

« لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ » أى لأخلصنا العبادة له . فجاءهم الذكر الذى هو سيد الأذكار ، والكتاب الذى هو أهدى الكتب والمعجز من بينها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٠] (فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)

« فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » أى عاقبة كفرهم . وهذا كقوله تعالى[1] (وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) الآية . وقوله تعالى[2] (أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧١] (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ)

« وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ » أى وعدنا لهم الأزلىّ ، وهو :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٢] (إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ)

[١٧٣] (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ)

« إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا » أى الرسل ومن آمن معهم « لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ » أى الظاهرون على أعدائهم ، والملكون لنواصيهم كقوله تعالى[3] (كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ، إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٤] (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ)

« فَتَوَلَّ عَنْهُمْ » أى أعرض عنهم إعراض الصفوح الحليم عمن ينال منه .

(١) [٣٥ / فاطر / ٤٢] . (٢) [٦ / الأنعام / ١٥٦و١٥٧] .
(٣) [٥٨ / المجادلة / ٢١] .

كقوله تعالى[1] (وَدَعْ أَذَىٰهُمْ) وقوله[2] (فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ) « حَتَّىٰ حِين » أى إلى استقرار النصر لك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٥] (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)

« وَأَبْصِرْهُمْ » أى بصرهم وعرفهم عاقبة البغى والكفر ، ومانزل بمن أُنذر قبلهم ، أو أوضح لهم الدلائل والحجج فى مجاهدتك إياهم بالقرآن والوحى . فإن لم يبصروا الآن ، « فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ » أى ماقضينا لك من التأييد والنصرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٦] (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)

« أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ » أى قبل حلول أجله ، وإنه لآت ، لأنه يوم الفتح الموعود به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٧] (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ)

« فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ » أى بقربهم وفنائهم « فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ » أى فبئس الصباح صباح من أنذرتهم بالرسل فلم يؤمنوا . لأنه يوم هلاكهم ودمارهم . قال الزمخشرىّ : مثّل العذاب النازل بهم ، بعد ماأنذروه فأنكروه ، بجيش أنذر بهجومه بعضُ نصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ، ولا أخذوا أهبتهم ، ولادبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم ، حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة ، وقطع دابرهم . وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا . فسميت الغارة (صباحا) وإن وقعت فى وقت آخر . وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التى تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك ، إلا لمجيئها على طريقة التمثيل . انتهى . أى فهى استعارة تمثيلية . أو فى الضمير استعارة مكنية ، والنزول تخييلية .

---

(١) [٣٣ / الأحزاب / ٤٨] . (٢) [١٥ / الحجر / ٨٥] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧٨] (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ)

[١٧٩] (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)

« وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ » قال الزمخشرىّ : إنما ثنى ذلك ليكون تسلية على تسلية ، وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد . وفيه فائدة زائدة . وهى إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول . وإنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به من الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة . وقيل : أريد بأحدهما عذاب الدنيا ، وبالآخر عذاب الآخرة.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨٠] (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)

« سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ » أى المنعة والقدرة والغلبة « عَمَّا يَصِفُونَ » أى من الشريك والولد ونحوها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨١] (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ)

« وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ » أى سلام وأمان وتحية على المرسلين المبلغين رسالات ربهم.

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨٢] (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

« وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » أى على نعمه ، التى أجلُّها إرسال الرسل لإظهار أسمائه الحسنى وشرائعه العليا ، وإصلاح الأولى والأخرى .

فوائد فى خواتم هذه السورة

الأولى ـ روى ابن جرير عن الوليد بن عبد الله قال : كانوا لايصفّون فى الصلاة حتى نزلت (وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ) فصفوا . وقال أبو نضرة: كان عمر رضى الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استقيموا قياما، يريد الله بكم هدى الملائكة. ثم يقول (وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ) تأخرْ يافلان ، تقدم يافلان. ثم يتقدم فيكبر. رواه ابن أبى حاتم وابن جرير[1] .

وفى صحيح مسلم[2] عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة . وجعلت لنا الأرض مسجداً . وتربتها لنا طَهوراً .

الثانية ـ روى الشيخان[2] عن أنس رضى الله عنه قال : صبّح رسول الله ﷺ خيبر . فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش، رجعوا وهم يقولون: محمد والله! محمد والخميس. فقال النبىّ ﷺ : الله أكبر خربت خيبر (إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) . دَلّ تمثله ﷺ بالآية على شمولها لعذاب الدنيا ، أولا وبالذات .

الثالثة ـ قال ابن كثير : لما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص ، بدلالة المطابقة . ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال المطلق مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص ـ قرن بينهما فى هذا الموضع ، وفى مواضع كثيرة من القرآن . ولهذا قال تبارك وتعالى « سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ » الآيات .

---

(١) انظر الصفحة رقم ١١٢ من الجزء الثالث والعشرين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

(٢) أخرجه فى : ٥ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ٤ (طبعتنا)

(٣) أخرجه البخارىّ فى : ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٦ ـ باب مايحقن بالأذان من الدماء، حديث ٢٤٦

وأخرجه مسلم فى : ١٦ ـ كتاب النكاح حديث رقم ٨٧ (طبعتنا)

الرابعة ـ روى ابن أبى حاتم عن الشعبىّ مرسلا : من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليقل آخر مجلسه، حين يريد أن يقوم : (سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ) الآيات .

وروى أيضاً عن علىّ موقوفاً .

وأخرج الطبرانىّ عن زيد بن أرقم مرفوعا : من قال دبر كل صلاة (سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ) الآيات ، ثلاث مرات ، فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر .

وقد بيّن الرازىّ أن خاتمة هذه السورة الشريفة جامعة لكل المطالب العالية . فارجع إليه .